الثقافة المصرية المعاصرة

وصراعُ النصّ مع التأويل

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

www.coptology.org

"التأويلُ" لغةً هو إعطاءُ معنًى لحدث أو قول أو نصّ لا يبدو فيه المعنى واضحًا لأوّلِ وَهْلة. والمتابع لتاريخ الثقافة المصرية المعاصرة لا بد وأن يكون قد رصد تلك المحطات الرئيسة لصراع النص مع التأويل، نشير هنا إلى بعضٍ منها؛ لأننا لسنا بصدد حصرها، بل تقديم أمثلة لهذا الصراع. فعندما كتب ونشر د. محمد خلف الله دراسته للدكتوراه عن "القصص الفني في القرآن"، وبعدها بسنوات نشر د. نصر حامد أبو زيد "مفهوم النص" وكانت دراسة عن المعتزلة والصراع مع التأويل، نال كلاهما قدحاً وذماً وهجوماً شرساً أدى في حالة د. نصر حامد أبو زيد إلى هجرته إلى هولندا، بل وصدر حكمٌ قضائي بطلاق زوجته منه رغم أنهما لا هو ولا زوجته، طلبا الطلاق. وكان سفك دم الشيخ الذهبي، ود. فرج فودة بمثابة التعبير الدموي عن هذا الصراع. وإذا عدنا إلى الوراء قليلاً، يمكننا أن نرصد دراسة الشيخ علي عبد الرازق عن "الإسلام وأصول الحكم"، وما أحدثته هذه الدراسة من أثر أفقد الشيخ علي عبد الرازق شهادة العالمية الأزهرية، وفُصل من عمله في القضاء. ولا يغيب عن العين الشغب الذي رافق صدور كتاب د. طه حسين "في الشعر الجاهلي".

تلك عثراتٌ وطنية تعبِّر عن ضيق الثقافة المصرية بالبحث ومراجعة التراث. وقد يبدو من رصد هذه المحطات أنها خاصة بالمصريين المسلمين فقط، ولكن المتفحص للتاريخ في هذه الحقبة يجد أن التيار الثقافي العام، جَرَفَ الكثير من المصريين، ومنهم الأقباط إلى ذات الصراع والذي بدأ –بالنسبة للأقباط– بهجوم حركة الإرساليات على كنيسة مصر، وكان أشدها هو كتاب القس بنيامين شنايدر "ريحانة النفوس في أصل الاعتقادات والطقوس"، وما جاء بعد ذلك من كتب ومقالات، كانت مكتبة النيل المسيحية في مصر، والمطبعة الأمريكانية في بيروت، كلاهما الذراع الذي كان يقود حركة الهجوم. وقتها

كنا نقرأ تفاسير وليم آدي الأمريكاني، وما صدر من مكتبة الأخوة من تفاسير، ولم يكن لدينا سوى تفسير المشرقي، وشرح سفر الرؤيا لابن كاتب قيصر. فيما بعد جاء جيل النهضة على يد الأستاذ حبيب جرجس: الكلية الإكليريكية، ثم اللجنة العليا لمدارس الأحد، ونشطت المجلات القبطية في النشر، فكان لمجلة "الكرمة" الدور البارز، إلى جوار مجلة "الصخرة" للأستاذ حبيب سكاكيني والأرشيدياكون فرنسيس العتر.

هذه عجالة سريعة شملت ما يزيد على ١٠٠ سنة، نلاحظ فيها أن قوة الحركة الوطنية التي كانت تطالب بالاستقلال عن بريطانيا بزعامة سعد زغلول وما تبعها من محاولات تأسيس الدولة الحديثة على أساس المواطنة "الدين لله والوطن للجميع"، كانت بمثابة سندٍ، ولو محدودٍ لحرية الرأي. في المقابل كانت الأعراض الجانبية لثورة ١٩٥٢ كحل الأحزاب وتأميم الصحافة وظهور الحزب الواحد، بمثابة سندٍ خفيٍّ ضد تعدد الآراء ودخول الثقافة الوطنية في عنق زجاجة "الولاء" للزعيم والقائد، وهو ما فرض على المستوى السياسي اعتبار الرأي الآخر تهديداً ومقاومةً لإجماع شعب مصر.

بين التاريخ القديم والحديث

كانت محاولة أخناتون فرعون مصر هي أول حركة دينية قاومتها أصولية كهنة آمون. فليس إذن الصراع الديني جديداً على مصر، وإن كان التاريخ القديم قد قدم لنا مشكلة أخناتون، فقد شهد بداية العصر المسيحي في مصر سفك دماء كثيرة جعل التقويم القبطي يبدأ بالشهداء. سيل الدماء هذا لم ينقطع على مدار التاريخ، وهكذا نشير إلى إبادة البشامرة في العصر العباسي، وسفك دم كثير من الأقباط في عصر المماليك والعصر العثماني، وهو سفك دم الآخرين الذين يختلفون عن البعض. وحتى بعد ظهور الدولة الحديثة على يد محمد على لم تستقر الأمور، إذ جاءت نكسات الإصلاح على يد الخديوي عباس؛ فعلى صعيد الحياة الدينية لم تنجح محاولات الشيخ محمد عبده لتجديد التراث، وفشل المجلس الملي أيضاً في وضع نظام قانوني لإدارة الكنيسة القبطية، واشتعل الصراع مع البابا كيرلس الخامس، وظل دور العلمانيين محجوراً عليه إلى أن تقلص بإلغاء

المجلس الملي في ١٩٥٤.

والصـــراع الفكري الدائر في أيامنا حول بعض كتب التراث، لا يختلف في جوهره عن الصـراع الفكري المقاوم للعادات والأعراف التي ليس لها أصـول تاريخية في الكنيسـة، ولكنها تدور حول ممارسات تعود إلى العصر الوسيط القبطي خاصة بالمرأة والزواج وطهارة الجسد .. الخ.

مصادرة الكتب، وحرق كتب الأب متى المسكين:

على المســـتوى الوطني، طويلةٌ هي قائمة الكتب، بل والروايات والأغاني التي مُنعت. وبالرغم من نشـــر أهرام الجمعة لرواية نجيب محفوظ "أولاد حارتنا"، فقد تم منع الكتاب بعد ذلك في مصر إلى أن تسرَّبت بعضُ نسخٍ من الطبعة اللبنانية.

وسـرت العدوى لبعض الإكليروس القبطي، فصـدرت قرارات منع كتاب "أقوال مضـيئة"، والترجمات العربية لكتب عالمية للأب كونيارس، ومنع كتب الأب متى المسـكين من معرض الكتـاب القبطي بعـد أن حُرِقت في فنـاء الأنبـا رويس، وطبعـاً مُنعت كتب كاتب هذه السطور.

نحن إذن أمـام حركـة لانهيـار حريـة الفكر واحترام الرأي الآخر، وهو أمر يفتح البـاب للقضـــاء على الحيـاة في مرحلة تاليـة، ولا يخلو التـاريخ من حوادث تؤكـد هـذا التســلســل. يكفي أن نشـير في التاريخ الحديث إلى ما فعله حرس هتلر الحديدي عندما أشـــعل النار في الكتب، فكان ذلك بمثابة مقدمة لحرق البشـــر الذي حدث بعد ذلك بقليل في معســكرات الاعتقال، وكنا قد أشــرنا إلى حوادث قتل الشــيخ الذهبي ود. فرج فودة، ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ. على أنه وإن كان حرقُ البشـــر جســـدياً عندنا غير وارد، إلا أن حرقهم معنوياً ممكنٌ، وهو ما يُمارَس باســـم الهرطقة ومخالفة تعليم الكنيســـة عملاً بالشــعار القديم: "أنت عدو نظام الحكم" في صــورته الحديثة: "أنت مخالف لتعليم الكنيسة".

التأويل والإتهام بالهرطقة:

المراقب للصراع الذي امتد لدينا طوال ما يزيد على ٤٠ سنة، يجد أنه كان كله يدور في دائرة التأويل، ولكنه تحوَّل إلى هجمةٍ قاسية شخصية، إذ تحوَّل تأويلُ شخصٍ معيَّن إلى تعليمٍ يُقال باسم الكنيسة القبطية، وهكذا حاول الأنبا شنودة الثالث أن يحذف ١٩٠٠ سنة من تاريخ الكنيسة القبطية باعتبار أن ما يقوله هو تعليم الكنيسة القبطية، حتى لو كان ذلك مخالف لما رسخ في التاريخ. وعلى سبيل المثال: مصالحة العدل مع الرحمة، تأويلٌ كان يُقال في كل الكنائس في ميمر العبد المملوك كعظة في أسبوع الآلام. وهو تأويلٌ لا يتفق مع وحدانية جوهر الثالوث؛ لأن العدل والرحمة كلاهما من خصائص الثالوث، لا من خصائص أقنوم بعينه. وهناك مثالٌ معاصر، هو ما يندرج تحت اسم "عقيدة الفداء والكفارة" التي لا وجود لها في التاريخ الكنسي الشرقي والغربي قبل عصر الإصلاح، والتي تشرح الخلاص بالقول بدفع الابن ثمن خطايا البشر على الصليب – ووقوع الابن له المجد تحت الغضب الإلهي، وهكذا صار لدينا اسمٌ جديد هو "البدلية العقابية".

ويمكننا إجمال العناصر التي قام عليها هذا التأويل فيما يأتي:

١- الابتعاد عن مجال الأسفار Scope وهو السبب الذي أشار إليه واستخدمه القديس أثناسيوس الرسولي في الرد على الأريوسيين (٣: ٢٧، ٢٨، ٣٥). ويقصد القديس أثناسيوس بـ "مجال الأسفار" كل الأسفار، لا اختيار نصٍّ واحدٍ يخدم تأويلاً معيناً، بل الإحاطة التامة بكل النصوص، وعدم أخذ نصوصٍ عن الابن المتجسد، وتأويل هذه النصوص على أنها تعني أُلوهية الابن قبل تجسده[١].

٢- استخدام، ليس فقط مفرداتٍ، بل أفكارٍ لم ترد في النص، ولا وجود لها في

---

(١) راجع بالتفصيل كتابنا: المدخل للاهوت الأرثوذكسي، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٣٩ – ١٥٤.

الأسفار.

٣- العودة إلى ما رسب من أفكارٍ عن ذبائح العهد القديم في العصر الوسيط الأوروبي، لكي تُفرض هذه الأفكار على ذبيحة الرب نفسه، خلافاً لكل ما كُتب عن ذلك في الرسالة إلى العبرانيين.

٣- استخدام كلمات "فدية" و"دفع الثمن" و"البديل العقابي" كتأويل لموت المسيح على الصليب.

متى يكون التأويلُ خطأً؟

١- التأويل هو اجتهادٌ شخصي، قد يكون نافعاً وقد يخرج عن حدود التفسير والشرح، ولذلك إذا ظهر في التأويل ما هو ضد النص -النص كما هو، وليس النص كما تم تأويله- فإن التأويل يجب أن يُرفض تماماً. وهذا لا يحكم على اجتهاد الشخص بالهرطقة، كما سيتضح فيما بعد، بل يجب الرد عليه حسب روح المسيحية. وعلى ذلك، ففي مجال الرد على التأويل الخاص بـ "عقيدة الفداء" المشار إليها آنفاً، يمكن مقارنته بنص يوحنا ٣: ١٦، حيث لا تُذكر كلمة "الفدية"، ولا يوجد فيه رائحة عقاب الآب للابن. كما يمكن استخدام نص "أجرة الخطية هي موت"، فإذا كان الله هو الذي يدفع الثمن طبقاً لتأويل "عقيدة الفداء"، فالنص يذكر أن الخطية هي التي تدفع الأجرة، وما أكثر الأمثلة التي ربما سمعها كل القراء أو نُشرت في بعض الكتب والمقالات.

٢- إن ما يجعل الصراع في دائرة التأويل شراً حقيقياً، هو الاتهام بالهرطقة. وقد نال هذا الاتهام أشخاصاً أبرياء بالرغم من أن الذين شنَّعوا عليهم كان لديهم تأويلات خاطئة جداً أدت بهم إلى إنكار سكنى الروح القدس، ومن الغريب هنا أن الردود كانت تدور داخل دائرة التأويل بسبب الابتعاد عن النص.

الفرق بين التأويل والهرطقة:

١- لم تكن الهرطقة الأريوسية، وهي أشهر هرطقات القرن الرابع وما بعده، مجرد تأويل، بل كانت محاولة لتقويض أُلوهية الابن، وقد جاءت بفكرة أفلاطونية، هي فكرة الكائن المتوسط، تلك التي جمع أريوس حولها نصوصاً مقطوعةً من السياق العام لها لكي يدافع عن فكرة أن الآب خلق الابن لكي يخلق الابن العالم. وبالنسبة لنسطور، نجد أنه بدأ بإنكار الاتحاد الأقنومي الذي حدث في تجسد ابن الله لكي يهاجم بكل عنف لقب "والدة الإله".

٢- في عصرنا الحالي شَرَحَ الأنبا شنودة الثالث عقيدة الثالوث على أن الآب هو الوجود، والابن هو العقل، والروح القدس هو الحياة، وهي ذات هرطقة سابليوس، ومع ذلك، فقد كان يؤمن بالثالوث، ولكن تأويله كان خطأً. وكتبَ أن الابن له المجد لم يسلِّم جسده في العلية، بل سلَّم رمزاً، وهو أيضاً تأويلٌ خاطئ يتناقض مع التسليم الكنسي الثابت في العهد الجديد والليتورجية. وقال إننا نأخذ الناسوت بدون اللاهوت، وهو تأويلٌ ضد الاتحاد الأقنومي للرب يسوع، ومع ذلك كان يصلي ويقول الاعتراف الأخير في القداس: "لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين".

أنا هنا لا أبحث عن براءة شخص، وذنب آخر، ولكني ألفت النظر وأُؤكِّد أن الاتهام الذي وُجِّه للأب متى المسكين، ولكاتب هذه السطور بناءً على هكذا تأويلات، هو اتهامٌ كاذبٌ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ.

٣- الهرطقة هي إنكارٌ لأحد بنود الإيمان كما صِيغ في المجامع المسكونية الثلاثة، وكما هو مدوَّنٌ في صلوات الكنيسة وفي كتابات الآباء[١]. أما ما يقال عكس ذلك فهو بمثابة نقلِ الاتهام بالهرطقة إلى دائرة التأويل الذي هو اجتهادُ شخصٍ كان يجب رده،

---

(١) راجع في ذلك تفصيلاً كتابنا: التمييز بين العقيدة والهرطقة والرأي، القاهرة، ٢٠١٦، جذور للنشر.

وفحصه في ضوء التسليم الكنسي، وليس القياس عليه.

٤- إن ما يُقال من دفاع ساخن عنيف عن "الخطية الأصلية"، إن هو إلا تجاهُل لحقيقة عدم وجود هذا المصطلح في الشرق، وشيوعه في الغرب وحده. ولذلك وفي سبيل تبرير هذا الدفاع، جاء العبث بكلمات القديس أثناسيوس اليونانية في الفصل العشرين من كتاب "تجسد الكلمة"؛ لأن التعليم الغربي هو وراثة ذنب آدم، والتعليم الشرقي هو وراثة الموت، والفرق كبير جداً[١]. ولذلك أيضاً تم الهجوم على كتابٍ ودراسةٍ جيدة جداً عن القديس ساويروس الأنطاكي للباحث د. جورج فرج؛ لأن ساويروس مثل غيره من آباء الشرق، لم يَسِر في ذات خط أوغسطينوس.

ولذلك، فإن اعتماد تأويل أوغسطينوس والدفاع عن هذا التأويل وتجاهل الثابت في التعليم الشرقي، هو بمثابةِ حذفٍ مباشر لتاريخ الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية الخلقيدونية وغير الخلقيدونية، كما أن استخدم هذا التأويل بالذات للهجوم على بعض الأشخاصٍ يكشف الغطاء عن استمراء نشر ثقافة قبطية جمعت بين ما رسب من تراث إنجيلي مصري وكاثوليكي مصري نشره قادة الإرساليات الذين وفدوا على بلادنا منذ القرن التاسع عشر، دون دراسة أو تمحيص، في الوقت الذي كان يجب فيه على المهاجمين القيام بمقابلة هذا التراث على ما لدينا من تسليم كنسي، وبالتالي نشر تراثنا القبطي الأصيل.

متطلبات التأويل

قلنا إن التأويل هو فهم كل قارئ لأي نصٍّ، وهو أمرٌ مطلوب، بل هو سبب الكتابة ونشر المعارف. ولكن التأويل يحتاج دائماً إلى عدة مراجعات:

أولاً: مراجعة التاريخ، أي تاريخ العقائد، وهو موضوع كان غائباً، ولكن فُتح

(١) راجع بالتفصيل كتابنا: وراثة الخطية أم سيادة الموت؟، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٤.

الملف أخيراً في الـــ ٣٠ سنة الماضية[١]، وكان أول كتاب عربي هو كتاب تاريخ الفكر المسيحي للدكتور القس حنا الخضري، وهو ترجمة عربية لبعض ما نُشر بالفرنسية والإنجليزية، ولكن فيه انحياز للمذهب الإنجيلي، وكان قد سبقه كتاب القس إلياس مقار بعنوان "ايماني"، ونشرته دار الثقافة. وسبق الكل مجلد اللاهوت النظري الخاص بالكنيسة الإنجيلية الذي تجاوز كتاب "ريحانة النفوس في أصل الاعتقاد والطقوس" للقس بنيامين شنايدر، والذي احتوى على هجومٍ عاصف ضد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية؛ لأن المؤلف لم يميّز بين كنيسة مصر والكنيسة الكاثوليكية. وفي حقيقة الأمر أن كل هجوم إنجيلي على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كان يعتمد على أن عقائد وممارسات الكنيسة الكاثوليكية هي ذات عقائد وممارسات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

ثانياً: ليس فقط مراجعة تاريخ العقائد، وهو الأمر المطلوب عندنا نحن الأرثوذكس؛ لأن الدراسات التاريخية الجيدة التي تجاوزت حدود المذاهب عن تاريخ العقيدة المسيحية، جاءت منذ ٥٠ سنة تقريباً، وفتحت الطريق أمام دراسات حديثة صدرت في السنوات الماضية بفضل جهود الأستاذ د. *T. Oden* حيث نُشرت خمسة مجلدات لشرح قانون الإيمان، ونشرت ثلاثة مجلدات بعنوان: *Worship in the Early Church* دراسة *L.J. Johnson* لكي تعبر الحواجز التي وضعها علماء التاريخ في القرن الـ ١٩ مثل *Harnack* وغيره. وهي حواجز انحياز الثقافة الأوروبية لنقد المسيحية الذي يعود أصلاً إلى الإمبراطور يوليانوس الذي سار على نهج كلسوس في كتابه ضد الجليليين "أي أتباع يسوع من ناصرة الجليل".

أمام هذا التاريخ نرى ضعف وتقزم موقف الصغار في هجومهم على قيادات كنسية محترمة من الأساقفة مثل الأنبا أنجيلوس والأنبا أبيفانيوس الذي وُصِفَ بأنه أُسقف بروتستانتي، مع أن تاريخ حركة الإصلاح لم يدوَّن بعد باللغة العربية، ولا يوجد لدينا مؤرخ

(١) نشير في هذا المجال إلى كتاب الأب باسيليوس المقاري: دراسات في آباء الكنيسة، والصادر في طبعته الأول ١٩٩٩. وأيضاً إلى كتاب تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة الصادر في طبعته الأولى عن منشورات الكتبة البولسية في لبنان ٢٠٠١.

قبطي أرثوذكسي درس حركة الإصلاح في القرن الـــ ١٦، الأمر الذي يعني أن الاتهام بالبروتستانتية لا يحمل في طياته أي جدية، بل يهدف فقط إلى التخويف والتشويش.

ثالثاً: ليس فقط مراجعة التاريخ الكنسي، بل أيضاً مراجعة كتابات الآباء، لا سيما أثناسيوس وكيرلس الكبير، وكلاهما لم يظهر على ساحة الفكر القبطي المعاصر إلا في السنوات الماضية بدايةً من خمسينيات القرن الماضي، حينما صدر كتاب "تجسد الكلمة" في ترجمة عربية عن اللغة الإنجليزية للأب مرقس داود.

رابعاً: أضِف إلى ذلك دراسة اللغات القديمة، فقد كان أحد مفاتيح النهضة الأوروبية في القرن ال ١٩ وما بعده هو دراسة اللغات القديمة: العبرانية – الآرامية – اليونانية، وبالتالي مراجعة ما نُشر باللغة اللاتينية. ونُشرت دراسات جيدة جداً عن الأصول العبرانية والآرامية لِما دوّن باللغة اليونانية، وبالذات العهد الجديد. وكان من الضروري إعادة النظر فيما كُتِب قبل ذلك بواسطة مَن جَهِل أو تجاهل الأصل العبراني أو اليوناني لما ورد في الأسفار المقدسة. وبالتالي كان قرار منع د. مراد كامل من تدريس اللغة العبرانية لفهم العهد القديم بمثابة سندٍ للتأويل الذي اعتمد على الترجمة العربية دون مقارنتها بالأصل العبري.

غاب كل هذا من ساحة الفكر القبطي المعاصر، وإن كانت قد بدأت بواكير ترجمات الآباء في مركز الآباء بالرغم من الحصار الذي فرضه عليه بعضٌ من الإكليروس، وإن كان قد تم اختراق هذا الحصار بفضل دعمٍ محدودٍ من العلمانيين. في ظل هذا كله، اعتمد الصغار على مواقع الإنترنت في شن هجوم على كل مَن ينشر دراسةً عن آباء الكنيسة، وبالتالي اتسعت دائرة التأويل لكي تجمع ما بين محاولة نشر تأويلِ شخصٍ معيَّنٍ والعداء لشخصٍ آخر مطلوب تدميره اعلامياً.

تأويلات الأنبا شنودة رداً على الأب متى المسكين:

قرأت مقالة "كيف تم فداء البشر" للبابا شنودة الثالث تحت عنوان اللاهوت

المقارَن، وقد صدرت الطبعة الثانية في أكتوبر ٢٠٠٣. وفيها يرد الأنبا شنودة على الأب متى المسكين. ونلاحظ أن تأويل الأنبا شنودة يفصل بين صلب الرب، وبين سر المعمودية، وهو ذات الفصل المتجذِّر في اللاهوت الإنجيلي (راجع صفحات ١٤ وما بعدها من هذا الكتاب) حيث يقول: "نلاحظ في عبارة (متنا معه) خلطاً بين الصليب والمعمودية. وكذلك في عبارة دُفنا معه. فنحن لم نمت مع المسيح على صليب الجلجثة، ولم نُدفَن معه في القبر". وبالرغم من أن الأنبا شنودة ذكر نصوص (رو ٦: ٣-٤ –كولوسي ٢: ١٢) حيث يذكر الرسول بولس، لا القمص متى المسكين: "أننا كل من اعتمد للمسيح اعتمدنا لموته .. الخ"، إلا أنه فرض رأيه على النص، فأنطق النص ما لم يقله. وكان يجب على الأنبا شنودة –إلى جوار الالتزام بالنص– مراجعة عظات القديس كيرلس الأورشليمي وعظات ذهبي الفم للموعوظين؛ **لأن الصليب ليس حدثاً تاريخياً تم فقط يوم الجمعة، بل هو شخص وأقنوم الله الكلمة الذي صُلب وقام لكي نشترك في صلبه وقيامته**. وبالرغم مما ورد في مقالة الأنبا شنودة من بعض عبارات للقديس أثناسيوس في تجسد الكلمة، إلا أن هذه العبارات تم جمعها لتخدم التأويل الذي أراده، ولذلك ترك عبارات مثل:

– "نحن الذين حملنا في جسده الخاص" (٢٥: ٦)،

– "موت الجميع قد تم في جسد الرب" (٢٠: ٨)،

– "بذل جسده للموت عن الجميع، كل هذا فعله من أجل محبته للبشر .. كان الجميع قد ماتوا فيه (٨: ٤)،

– وجسد الخطاة هو الجسد القابل للموت، وهو تعبير تكرر عدة مرات في كتاب "تجسد الكلمة".

وهكذا يكون الأنبا شنودة قد حاصر موت الرب على الصليب في:

١- دفع الثمن.

٢- ترضية العدل الإلهي.

٣- احتمال عقوبة الموت.

وهي ذات الدائرة التي تم فيها تأويل صلب الرب منذ القرن الـــ ١٦ في حركة الإصلاح والتي تجاهلت:

١- تحرير الإنسانية كلها من الموت الأبدي.

٢- هبة القيامة للكل.

٣- تجديد الإنسانية في المسيح لمن يقبل.

٤- انسكاب حياة الفادي في السرائر لا سيما المعمودية والمسحة والإفخارستيا.

٥- صار المسيح هو آدم الثاني رأس الكنيسة.

٦- أصبح الذين اعتمدوا أعضاء جسده.

٧- الاتحاد برأس الخليقة الجديدة.

وهكذا ضاقت دائرة التأويل عن كل هذا بسبب طبيعة الصراع العقيدي الذي دار في القرن ال ١٦ والذي انفتح أخيراً على دراسات إنجيلية معاصرة تحاول رأب الصدع مثل:

Ben Blackwell: Christosis: Pauline Soteriology in the light of Deification in Irenaeus and Cyril of Alexandria (2011)

ومصطلح *Christosis* هو مصطلحٌ جديد تم خلقه لتأكيد الاتحاد الذي تم في المسيح بين الرب يسوع وأعضاء جسده.

التاريخ في المسيحية الأرثوذكسية ليس أحداثاً قديمة:

دُهشت لما ذكره البابا شنودة في مقاله كيف تم فداء البشر (ص ٢٥): "وعندما يقول بولس مع المسيح صُلب" (غلا ٢: ٢٠)، لا يقصد أنه صُلب معه على جبل الجلجثة. ففي ذلك الوقت لم يكن مؤمناً .. الخ (ص ٢٥). ومع ملاحظة أن الأنبا شنودة لم يذكر بقية قول الرسول: "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ"، يجب أن نلتفت إلى أن **الحياة التي صُلبت وقامت هي حياة الحي يسوع رب الزمان كله، والذي لا يمنعه الزمان من أن يكون معنا، بل "فينا"، وعطية التجديد تمَّت في المسيح نفسه، ومنه نُقِلت إلينا بالروح القدس، وهو ما غاب عن لاهوت السرائر في العصر الوسيط، أي عمل الروح القدس في تقديم حياة يسوع المصلوب والحي معاً؛ لأن المسيح صُلب بالروح القدس أو الروح الأزلي (عب ٩: ١٣)، وهو ذات الروح الذي يقدِّمه "حملاً بلا عيب" ممسوحاً بالروح القدس**. واستعلان يسوع بالمسحة يعبِّر عنه طقس تقديم القربان ومسحه بالماء قبل لفه بلفافة يوضع عليها الصليب؛ لأن السر سوف يُستعلَن عند استدعاء الروح القدس، حينما يعلن الروح أن الخبز والخمر صارا جسد الرب ودمه، وصارا "قدساً لقديسيك" حسب صلاة استدعاء الروح القدس. ولذلك أيضاً، يغطي الكاهن يديه بلفافتين؛ لأن اليد التي تخدم هي يد الرب نفسه، فهو الذي أخذ خبزاً وشكر وبارك .. الخ **فلا مسافة يمكنها أن تفصل الرب عن المؤمنين، ولا زمان يمكنه أن يجعل الصلبَ حدثاً تم وانتهى**؛ لأن هذا هو تصور العصر الوسيط الذي دخل أيضاً عصر الإصلاح، وهي سقطة الفكر الإنساني المستعبَد للزمان والمكان والتي فصلت بين الصلب والقيامة.

التأويل الخاطئ لذبائح العهد القديم، أساسٌ خاطئ لشرح الفداء

المطلع على الشرح السائد لموت الرب على الصليب، والذي تسرب إلينا من العصر الوسيط الأوروبي، يلاحظ أن هذا الشرح بُنِيَ على تأويل خاطئ لذبائح العهد القديم. ونقول تأويلٌ خاطئ؛ لأن حتى كلمات مثل "العقوبة"، وعبارات مثل "إيفاء العدل الإلهي حقه" لا وجود لها في النصوص الخاصة بالذبائح. وحتى شرح موت الرب على أساس ذبائح العهد القديم، مهما كانت أسماء هذه الذبائح، لا علاقة له بالعهد الجديد[١].

ولعل أفدح الأخطاء هو تصوُّر أن الله قد أمر بتقديم هذه الذبائح، ولكن سفر اللاويين (١: ١-٢) يقول: "إذا قرَّب إنسانٌ منكم قرباناً للرب .."، وكرر ذات النص في (لا ٢: ١) "وإذا قرَّب أحدٌ قرباناً .."، وقد شرحت الدسقولية في إسهابٍ الغرض منها وكيف عزل الله بني إسرائيل عن الشعوب الأخرى بطقس الذبائح، ولذلك كُتب: "لأن الله ليس بمحتاج للقرابين لأنه فوق كل احتياج بطبعه، لكن بالحري إذ هو عارف أنه مثل المحب لله الأول هابيل ونوح .. أنهم لما تحرَّكت ذواتهم من جهة الناموس الطبيعي، ورأي شاكر أن يقربوا لله، ولم يفعلوا ذلك بتكليف .. ولم يأمرهم، ولكن سمح لهم .. لأجل ذلك هذا قال "إن كنت تشتهي أن تذبح لي عن هذا فلست بمحتاج إلى ذبيحة .. (خروج ٣٢: ٤)"[٢]. وإذا كانت كلمات العبرانيين (ص ١٠: ١-١٠) التي تؤكد أن الله لم يُرد الذبائح ولا سُرَّ بها، تكفي، فمن هنا نفهم أن تحصُّن تأويل الذبائح وفرضَه عنوةً على صلب الرب نفسه، لم يحدث إلَّا لأن ذلك التأويل كان قد شاع في كتب ماكنتوش، وهو ما وصل إليه تطرُّف حركة الإصلاح في إخضاع العهد القديم لقراءةٍ مغلوطة، وذلك لأن نصوص اللاويين والتثنية لا تذكر أن الذبائح كانت تُقدَّم لترضية العدل الإلهي، ولا حتى

(١) راجع بالتفصيل كتابنا: موت المسيح على الصليب، القاهرة ٢٠٠٩، وعلى وجه الخصوص الفصل الثالث عن الصليب وذبائح العهد القديم في اللاهوت الأرثوذكسي، ص ٦١٥ وما بعدها.

(٢) الدسقولية: تحقيق د. وليم سليمان، الطبعة الثانية ص ٧٢٤-٧٢٥.

لدفع عقوبة، بل جاءت فكرة رضـــاء الله في إطار محدود، وهو عودة إســـرائيل إلى العهد الذي قُطِع على جبل حوريب، **وهكذا، إذا كانت الشـــريعة لم تأمر بتقديم الذبائح أصـــلاً، فلا يُعقَل أن نقبل تأويلاً يقول بأن الذبيحة غير العاقلة حلَّت محل الخاطئ، وبالتالي كل الأفكار التي ترتبت على ذلك.** إضـــافةً إلى ما ســـبق، لا يوجد في العهد الجديد نفسه أية إشارة إلى أن المسيح هو ذبيحة محرقة تشتعل فيها نار العدل الإلهي حتى يصبح المسيح رماداً، بحسب شرح المتنيح الأنبا شنودة الثالث في كتابه خمسة تأملات في أسبوع الآلام.

هكذا اتســـعت دائرة التأويل لكي يدخل فيها القمص متى المســـكين متَّهماً بالتعدي على عقيدة الفداء والكفارة، وهو الهدف الذي لأجله كتب الأنبا شـنودة مقالة: كيف تم فداء البشر.

مراجعة لاهوت السرائر:

كان كتاب الأســتاذ حبيب جرجس "أســرار الكنيســة الســبعة" هو خلاصـــة ما وُلد في العصـــر الوســـيط بعد مجمع ترنت في القرن ١٦ للرد على حركة الإصـلاح. وهو لاهوت دفاعي أهمل ليس عن قصـد، بل عن جهلٍ، التسـليم الكنسـي؛ لأنه لا يمكن فهم المعمودية بالمرة إذا فُصِـــلت عن الصـــليب. فما هي قيمة الصـــلوات والغطس في المياه إن لم تكن تلك هي الشـــركة الســـرية في موت الرب لكي تُباد الطبيعة القديمة، وتقوم الطبيعة الجديدة التي هي خلقٌ جديد؟

لذلك كان من اللازم أن نراجع كتاب أسـرار الكنيسـة السـبعة على ما ورد في عظات القديس كيرلس الأورشـــليمي، وليس العكس، أي مراجعة ما نُشـــر من العظات على كتاب أسـرار الكنيسـة السـبعة؛ لأن العودة إلى تراثنا الآبائي يجب أن يؤخذ بكل اهتمام.

سرعة إصدار الحكم بالهرطقة:

حسب ما استقر في القانون الكنسي، وهو ما تؤكده الدسقولية، ومحاضر جلسات المجامع المسكونية الثلاثة، كان كلُّ ادعاءٍ يُفحَص في وجود المدعى عليه، ولم يحاكَم أشر الناس غيابياً، ولم يحاكم إعلامياً، بل كان فحصُ الأقوال يتم بمراجعة هذه الأقوال على التسليم الكنسي .. هل حدث هذا معي، أو مع القمص متى المسكين؟

لم يحدث بالمرة.

كان قداسة البابا شنودة هو مَن بدأ بالهجوم أولاً في دروس القسم المسائي، وثانياً على صفحات الكرازة، وثالثاً بصدور كتاب بدع حديثة، وهو لم يكن أكثر من بعض ما نُشِر في مجلة الكرازة. أما لماذا أهدر الأنبا شنودة حق الدفاع؟ فلأنه:

أولاً: كان يعرف مقدَّماً أن الادعاء خاسرٌ.

ثانياً: كان هو نفسه معرَّضاً للاتهام بالهرطقة، وقد حاول اتهامي في جلسة محكمة شُكلت دون إنذارٍ في مقر إقامته في دير الأنبا بيشوي، وبحضور الأنبا يؤانس أسقف الغربية – الأنبا باخوميوس أسقف البحيرة – الأنبا بيشوي أسقف دمياط وكفر الشيخ. وحاول جاهداً أن يحاكمني على موضوع التطهيرات الجسدية، ولكنه خسر الجولة. ولم ينتبه إلى أن الادعاء بأن دم المسيح يخرج من جسم المرأة مع دم الحيض، هو بمثابة ادعاء بأن الرب يسوع عاد إلى الموت بعد قيامته، فأصبح جسده ودمه بعد القيامة عودة إلى الموت عند التناول. ولما سمع كلمات القداس الإلهي: "الذبيحة الإلهية غير المائتة السمائية" صَمَت. ولا يوجد ما يدعو إلى تدوين شطحات الأنبا بيشوي الذي خانه الذكاء عندما طلب عدم تبرع الأقباط بالدم للمسلمين؛ لأن دم القبطي "فيه دم المسيح"، وكأن المسيح أصبح سلعةً يمكن تداولها بدون الإيمان.

الإدعاء والشوشرة في وسائل الإعلام:

لا يخرج الادعاء بالهرطقة في وسائل الإعلام عن كونه شوشرةً تهدف إلى النيل من سمعة وخدمة البعض الذين تحولوا إلى خصوم. فقد ظل الإعلام يطارد القمص متى المسكين طوال ٣٥ عاماً. وصمتُ الأب متى المسكين كان له هدف واحد هو أن لا يساهم بالرد حتى لا تتسع دائرة الشوشرة. لأننا كنا قد ورثنا من الثقافة السياسية التي سادت فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر نقل المعارك السياسية إلى الشعب في خطابات شعبية كانت دائماً تقابَل بالتصفيق والهتافات؛ لأن دعمَ الشعب كان مطلوباً. وهكذا تعلَّم قادة الكنيسة نقل ما هو مختلفٌ عليه إلى الشعب في عظات الجمعة، ثم الأربعاء. وكانت كثافة حضور الشعب معياراً للزعامة، وكان أحد مواصفات الأسقف أن يكون له "شعبية"، وهكذا حادت القيادة الكنسية عن القيادة الروحية لأن جمع الشعب كان يتمحور حول أفكارٍ تدور كلها في دائرة التأويل أو الاستهجان: "مستحيل أن يتحد المسيح بجسد كل الخطاة" (كيف تم فداء البشر ص ٩)، وهو ردٌّ على سؤال: هل مات المسيح بجسد كل البشرية، بجسد كل الخطاة، بجسد كل خاطئ؟ وجاء الجواب إنكاراً صريحاً "المسيح صُلِبَ وتألم ومات بجسدٍ بشري، وليس بجسد كل البشرية ..(ص٩)". والجسد البشري الذي لا ينتمي إلى الإنسانية الخاطئة، أي ليس من نفس الطبيعة الساقطة "القابلة للموت" هو جسد غير إنساني. وإذا كان هو جسد آدم قبل السقوط، فهو جسد لم يعد له وجود حقيقي بعد السقوط، إذ صار تحت حكم الموت، واختلف بذلك عن الجسد بعد السقوط. لكن هكذا كانت تُحشد الإثارة على حساب الإيمان. والفرق بين إثارة وحشد الجماهير سياسياً وحشد الشعب وراء الزعيم الكنسي هو أن ما يقال سياسياً كان "مرحلياً" ومؤقتاً، أمَّا ما يقال كنسياً عن الإيمان، فهو يمس الماضي، أي التسليم الكنسي، والحاضر والمستقبل أيضاً لأنه يمس تحول الإيمان عن مساره، بل الأخطر هو تكتل فئة ضد فئة، أي شق وحدة الكنيسة، وكان شق وحدة الكنيسة هو الهدف من الإثارة والشوشرة ولا زال ذلك الهدف يسعى إليه غير الدارسين للتاريخ أو اللاهوت أو الأسفار المقدسة.

أمثلة لحقائق غابت عن التأويل

عندما نشـاهد مبارزات بالنصـوص علينا أن ندرك على الفور أن ما يقدِّمه كلُ مبارزٍ هو فهمه الخاص الذي لابد أن يُراجع على التاريخ وما اسـتقر من فهمٍ لهذه النصوص. وعلى سبيل المثال ما ورد في (مزمور ٥١: ٥). "هانذا بالإثم صُوِّرت وبالخطية حبلت بي أمي"، سـبق هذه الكلمات: "لأني عارف بمعاصـي وخطيتي أمامي دائماً". فحسـب تاريخ اليهودية كله لا توجد كلمة أو عبارة "وراثة الخطية"، وكلمات المزمور تعني حسـب النص أن الخطية ليسـت غريبة عني؛ لأن المزمور قيل بعد الزنى مع زوجة أوريا الحثي، وهكذا الشهوة ليست غريبة. **وينسى الذين يستخدمون هذه الكلمات لتأكيد وراثة الخطية أن الحديث عن الأم ينفي دور الأب الذي لم يذكره النص!!!**

والمثال الآخر هو عبارة "صُـلب إبراهيم" التي وردت مرتين في (عب ٧: ٥ و٧: ١٠)، وحسـب النص ما عدا سـبط لاوي "أما الذين هم من صُـلب بني لاوي الذين يأخذون الكهنوت، فلهم وصية أن يأخذوا العشر من الشعب حسب الشريعة أي اخوتهم مع أنهم خرجوا من صُـلب إبراهيم (٧: ٥)، والكلمة اليونانية ὀσφύος لا علاقة لها بالحيوانات المنوية، رغم ذكاء واحد من الإكليروس لأن الذكاء لا يفيد بدون العودة إلى الأصل اليوناني المترجم Loins أو hip وهي الحقوين (مرقس ١: ٦ – متى ٣: ٤ "على حقوية منطقة من الجلد"، وكذلك في أفسـس ٦: ١٤). وفي عظة القديس بطرس في يوم العنصرة إشارة إلى أن المسيح نفسه "إنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه (داوود) (أع ٢: ٣٠)، **فإذا كان المسيح قد ولد من صُلب إبراهيم، فهل وُلِد الرب يسوع نفسه بوراثة الخطية، أم أن الصُّلب أو الحقوين هو إشارة إلى استمرار النسل من أبٍ معروف؟ والكلمة بذلك لا علاقة لها بالسائل المنوي؛ وإلا انتفى دور حواء في السـقوط. ولأن دور حواء في السـقوط معروف، لذلك فإن تعبير الآباء عن "الخطية الأولى، أو الآدمية" يعني سقوط آدم وحواء في براثن الموت بسبب التعدي.**

ومثالٌ آخر، وهو ما عُرِف شـعبياً باسـم صـلاة العشـار، ويجب أن نلتفت إلى

كيف قدَّم الرب نفسه لهذا المثل: "وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرارٌ، ويحتقرون الآخرين هذا المثل. إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار .. الخ" (لوقا ١٨: ٩ – ١٤). **إذن، المثل هنا ليس نموذجاً للصلاة، بل الحكم القاطع على كل مَن يعتبر نفسه باراً ويحتقر الآخر**، وهو ما فعله الفريسي عندما صلَّى. **وهكذا لا يجب لعبارة "أنا الخاطئ"، بالنسبة لنا نحن الذين دُعي علينا اسم المسيح، أن تنفي عطية التبني، وبالتالي تصبح الخطيةُ "هوية مَن يصلي"**.

يمكننا أيضاً أن نقدم نماذج متنوعة من صلوات الأجبية:

صلاة باكر

وهي كما تبدو من القطع، عند إشراق النور، وهي من أقدم الصلوات القبطية:

- أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر
- أعطيتنا روح البنوة ⲙⲉⲧϣⲏⲣⲓ
- فلتشرق فينا الحواس المضيئة

وعن القديسة مريم هناك طلبة واضحة: "فاسأليه أن يعطي الخلاص للعالم الذي خلقه"؛ لأن الخلاص يبدأ بالخلق وليس بسقوط آدم، فبداية الكتاب المقدس ليست تكوين الاصحاح ٣ ولذلك نقول: "أيها الرب الإله حمل الله ابن الآب رافع خطية العالم ارحمنا يا حامل خطية العالم (أي ناقل، وليس من يحملها على كتفه)، أقبل طلباتنا إليك".

وتأتي الهوية الصادقة: "أجعلنا أبناء النور وأبناء النهار"، أي أبناء القيامة. والمسيح هو "إلهنا الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الجزيل التحنن الذي يحب الصديقين ويرحم الخطاة الداعي الكل إلى الخلاص".

طلبة تجديد الكيان في الساعة الثالثة:

تجديد الكيان هو محور الطلبة، واستدعاء الروح القدس: "أيها الملك السماوي المعزّي .. هلم تفضل وَحِل فينا"، ثم طلب سلام المسيح، وهو عطية الروح القدس حسب شرح القديس كيرلس السكندري لإنجيل يوحنا:

"أرسل علينا نعمة روحك القدوس وطهرنا ... الخ".

الساعة السادسة وهي ساعة صلب الرب يسوع:

الرب "قتل الخطية بالخشبة وأحييت الميت بموتك الذي هو الإنسان الذي مات بالخطية .. اقتل أوجاعنا بآلامك المشفية ..". أما عن الدالة، وهي الجرأة التي ليست لنا من أجل كثرة خطايانا ...، فهي طلبة عامة بطلب شفاعة والدة الإله، لأن الرب "تألم لأجلنا لكي ينقذنا". الرب" صنع خلاصاً في وسط الأرض"؛ لأن أورشليم –حسب الاعتقاد الشائع– كانت في وسط الأرض، وبسبب هذا الخلاص، كلُّ الأمم تصرخ: "المجد لك .." لأنه نجانا من عبودية العدو، ولأنه المخلص الذي جاء لكي يعين العالم.

ما أقوى هذه العبارات:

"من قِبَل صليب الرب: هبط الجحيم وبَطُلَ الموت، أمواتاً كنا فأقامنا الرب، **وصار لنا استحقاق الحياة الأبدية**، ونلنا فرح الفردوس الأول".

في التحليل: "مزق الرب صك خطايانا".

الساعة التاسعة، طلب الإماتة مع المصلوب:

"يا من ذاق الموت بالجسد .. أمت حواسنا الجسدانية أيها المسيح".

والرب "قتل الموت"، وهي عبارة نجدها في كتاب تجسد الكلمة للقديس اثناسيوس (٣٠: ٢).

نحن نستحق حكم الموت، لكن قبل ذلك في السطر السابق الرب قتل الموت.

صلوات الأجبية، مستويات متنوعة:

كانت دراسة د. ماجد صبحي. دراسة في كتاب "الأجبية" (مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الثانية، العدد الأول ص ١٥٩-١٧٣ وقبلها دراسة أخرى لنفس الباحث نُشرت أيضاً في السنة الأولى تؤكد:

١- عبور كتاب الأجبية بمراحل تطور تاريخي يعود أصلاً إلى العصر الوسيط.

٢- إضافات حدثت بعد ذلك.

المستوى الأول:

نجد هذا المستوى في صلاة الغروب وصلاة النوم. ففي صلاة الغروب هو خلاص الصديق بالجهد، وهي طلبة خاصة لا يجب أن تنفي نعمة الله. وتذكُّر الإنسان لحالته الحقيقية حسب الطبيعة وليس حسب النعمة، لا يجب أن يؤخذ كمثال للصلاة، ولكن طلب أن يُحسب الإنسان مثل فعلة الحادية عشر حسب المثَل، هو طلبٌ ليس عن الجهاد أو الأعمال، بل هو طلب الرحمة، وهكذا تأتي الطلبة: "اسرع يا مخلص بفتح الأحضان الأبوية"، وصراخ الابن الضال قد يكون نافعاً للبعض؛ لأن العبارات التالية قد لا تكون تعبيراً حقيقياً للكل: "لكل أثم بحرص ونشاط فعلت .. الخ".

وفي صلاة النوم يجب أن ننتبه إلى أن تذكُّر الدينونة لا ينفي نعمة التبني ولا وراثة الملكوت. وأن الرعب من تذكُّر خطايا سابقة هو أمر إيجابي لأننا لن نعود إلى الماضي، ولذلك تذكُّر الدينونة هام: "لأن العمر المنقضي في الملاهي يستوجب الدينونة"، ويليه

طلب التوبة. وأحد مكونات الصلاة هو أن ما في هذا العمر ليس ثابتاً، وهذا العالم ليس أبدياً.

المستوى الثاني:

هو مستوى المتهاون الذي عاش في الدنس، وهو من فقد حياة الشركة، واذا كانت الكلمات: "أنا الشقي المتدنس المتهاون في حياتي ... الخ"، لا ينطبق على كل إنسان، بل على البعض، وبالتالي لا داع لتلاوة هذا الجزء بالذات عند من لا ينطبق عليه هذا الوصف؛ لأن تلاوة كلمات لا تعني شيئاً في الحياة الحقيقية لأي إنسان، هي بمثابة دخول في مجال تواضعٍ مزيَّفٍ ينقل الوعي إلى فقدان التمسك بالنعمة ويقود إلى "صغر القلب"، وهو الشعور بأن الإنسان تافه وحقير، ولذلك يوضَع "صغر القلب" ضمن الخطايا الإرادية التي يذكرها التحليل الكبير: "أيها السيد الرب يسوع المسيح الذي قطع كل رباطات خطايانا ..".

لا يجب أن ننسى أن بقية صلاة النوم: "تفضل يا رب أن تحفظنا في هذا اليوم ..."، تؤكد المستوى العام لكل مؤمن: "لتكن رحمتك علينا يا رب لأننا اتكلنا عليك .. يا رب رحمتك دائمة إلى الأبد أعمال يديك يا رب لا ترفضها .."، ثم طلب الرحمة.

ويظهر الرجاء المسيحي في طلب الصفح والغفران في تحليل صلاة النوم، ثم طلب ملاك السلامة ليحرسنا من كل شر ومن كل تجربة بالنعمة والرأفات ومحبة البشر...."

نصف الليل ولقاء النفس بالعريس السمائي:

طلب السهر أو اليقظة له جذورٌ في نسكيات الأسقيط وقد ضاعت الكلمة القبطية اليونانية Nepsis - νήψις أي اليقظة وهي "عيرو" بالآرامية وتعني "الانتباه"؛ لأن الملائكة هم في يقظة دائمة. وطلب السهر "تفهمي يا نفسي ذلك اليوم الرهيب واستيقظي وأضيئي مصباحك بزيت البهجة". وزيت البهجة هو مسحة الروح القدس

الذي ينير القلب لكي يعرف صوت العريس السمائي، وبالتالي لا نُحسب مع العذارى الجاهلات، بل نلقى الرب "بدُهنٍ دسم"، هو مسحة الميرون. والجميل: "لكي ينعم لكي بعرس مجده الإلهي الحقيقي"، وهو ليس المجد المزيف الذي نطلبه بسبب انعدام الإفراز.

توبة بدموع مثل المرأة الزانية:

في الخدمة الثانية توجد صرخة الخلاص: "اجعلني مستحقاً أن أبل قدميك اللتين أعتقتاني من طريق الضلالة .. إيمانك قد خلَّصك" تأكيد الخلاص هو "الهرب إلى الله محب البشر".

بأعمالي ليس لي خلاص:

الخلاص بالأعمال الصالحة وحدها ليس طريقاً مسيحياً، والإصرار على طلب الرحمة "ليس رحمة في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة"، ولكن "اشفق عليَّ أيها المخلص فانك أنت محب البشر وحدك"، هو سبب كل صلاة لمحب البشر.

انتظار يوم الدينونة ووراثة الملكوت:

هو أن نستحق بسبب محبة البشر "أن نسمع ذلك الصوت المملوء فرحاً القائل تعالوا إلى يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم قبل إنشاء العالم"، لأنك الرب "هو وحده" الرؤوف الطويل الأناة الكثير الرحمة".

لعل ما أساء إلى الأجبية هو اعتبار الأجبية قانون صلاة، وهي ليست كذلك، بل وُضِعَت وعَبَرت بمراحل متعددة، تؤكد الدراسات التاريخية أنها كانت ولا تزال خاصة بحياة النسك في الأديرة، ولم تكن في بداية التاريخ الكنيسة خاصة بالعلمانيين. وما ورد عن مواقيت للصلاة في سفر الأعمال هو تاريخياً خاصّ بصلوات مجامع اليهود. والساعة الثالثة في (أع ٢: ١٥) هي التاسعة صباحاً، وهي الساعة التي حلَّ فيها الروح القدس

على التلاميذ، ولاحظ أن اجتماع الكنيسة حسب (أع ٢: ٤١) كان في الهيكل. حسب مزمور ٥٥: ١٦-١٧ كانت الصلاة ثلاث مرات، ولكن في سفر أخبار الأيام (أخبار الأيام ٢٣: ٣٠) كانت الصلوات العامة مرتين، ويبدو من سفر دانيال أنه كان يصلي ثلاث مرات (٦: ١٠)، وصلاة بطرس في نصف النهار (أع ١٠: ٩) تؤكد استمرار عادة الصلاة في نصف النهار.

ولكن امتزاج الصلاة اليومية حسب ترتيب الأديرة وبالذات الباخومية هو الذي رتَّب السبع صلوات.

يهمنا أن تؤكد أنه لا توجد شريعة خاصة بالصلاة، سوى اجتماع الكنيسة في يوم الأحد، يوم قيامة الرب وتقديم ذبيحة سر الشكر. هذا ثابت من المصادر التاريخية القديمة حوالي (الدفاع الأول للشهيد يوستينوس فصل ٦٧).

قانون المحبة هو شريعة الحياة في المسيح (رو ٢: ٢) وهي أقوى من كل الشرائع.

ختام

تلك بعض حقائق عن الصراع الذي يدور في دائرة التأويل، والذي اتخذ اشكالاً وصوراً كثيرة، ليس من بينها الصورة التي تتفق والمحبة المسيحية والقانون الكنسي. فقد شهدنا منذ سنواتٍ نمو كتائب أليكترونية ليس للشهادة ونشر الثقافة، بل لتدمير التسليم الكنسي وتشويه سمعة من صاروا أعداء لأن محبة القريب، بل محبة الأعداء غابت تحت أرجل البغضة ونشر الكراهية

هكذا أصبحنا نقلِّد أسوأ مستوى سلوكي في ثقافة الوطن، ومن هنا بالذات بدأ شعار "تعليم الأنبا شنودة"، "تعليم القمص متى المسكين"، وضاع صوت وشهادة تعليم آباء الكنيسة، وزاد الطين بلة أن تؤخذ عبارات من الرسول بولس، أو بعض الآباء وتُنسَب إلى الأب متى، أو إلى كاتب هذه السطور باسم "تعليم جورج بباوي"، وكان مجرد

تقديم ما يقال عن العلامة أوريجينوس يُنسب إليَّ.

هكذا عشنا ولا زلنا نعيش في دائرة تقليد الثقافة الوطنية:

* مصادرة الكتب.

* مطاردة من يختلف معنا في الرأي وهو دائماً في دائرة التأويل لا في دائرة القراءة الجيدة للنصوص.

* إصدار أحكام القطع وفرز أشخاص مثل د. نظمي لوقا ومنع صلاة الجناز عنه.

* الهجوم الدائم على من نختلف معه وخلق ادعاء عام: "مخالف لتعليم الكنيسة" مثل "أنت عدو نظام الحكم / أنت مخالف لتعليم الكنيسة".

إن ما يطفو على سطح الحياة الكنسية الآن إن هو إلا نفايات ثقافة المطاردة والمنع، وتشويه الآخر هو الصورة القبطية من تكفير الآخر، ليس لأنه كافر وإنما لأن التكفير يخدم جماعات معينة. هكذا تحولنا ثقافياً عن الايمان والرجاء والمحبة وكما قال الرسول بولس وأعظم من الايمان والرجاء، هي المحبة.

ويبقى السؤال: هل مازلنا مسيحيين أم أننا باسم المسيحي تحولنا إلى ذات الصراع السياسي، ولكن باسم المسيح؟

د. جورج حبيب بباوي